سلسلة مطويات شبكة بينونة

دَقَة بدَقَة
ولو زدت لزاد السّقا

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن فندال العازمي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الزوجين الذكر وأنثى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا.

أما بعد:

فحديثي في هذه النسمة الإيمانية والقيمة الأخلاقية عما يهدد هذه النسمات الإيمانية والقيم الأخلاقية، وأنطلق معكم في هذه المحاضرة من موقف وقع للنبي ﷺ مع أحد الشباب، فقد جاء فتى شاب إلى النبي ﷺ فقال: « يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه. -يعني اسكت اسكت- فقال: ادنه- قربوه مني- ، فدنا منه قريبا، قال: فجلس -لاحظ الموقف-، فقال له النبي ﷺ: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم،قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، فوضع يده عليه وقال له -كلمات عظيمة-: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه-لاحظوا هذه الدعوات- فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء »[1].

هذا الموقف العظيم يربينا تربية مهمة ويعلمنا قواعد عظيمة، فأول ما نتعلم من هذا الحديث أمورًا:

الأمر الأول: أن الشباب لهم طاقات وعندهم قدرات، ولهم ميولات وكل إنسان مغروز فيه شيء من هذه الشهوات، وقد يكون عندهم شيء من الشبهات، فترك الشباب هكذا بطاقاتهم وبعض الشهوات التي عندهم والشبهات دون احتواء خطر، فلابد من احتوائهم وتقريبهم، والحوار معهم وهذا.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٢١١).

الأمر الثاني: الذي نتعلمه في هذا الموقف، من الأساليب المهمة مع الشباب محاورتهم والنزول معهم إلى مستوى تفكيرهم والارتقاء بهم إلى تفكير سوي ومعتدل، فهذا الشاب الذي جاء إلى النبي ﷺ يعلم أن الزنا محرم لذلك طلب منه الإذن فحاوره النبي ﷺ؛ والحوار معه هنا ليس من جانب شرعي لأنه يعلم الحكم وليس من العقل هنا أن ينفر فيقال له مثلًا: اتق الله أنت مجنون، ولا أن يشدد عليه، لاحظ الأسلوب النبوي أدناه وقربه وأجلسه وحاوره من جانب عقلي يوقظ الفطرة والغريزة والغيرة والرجولية التي عنده وهذا أمر مطلوب ومهم، ولا يزال النبي ﷺ يضرب له الأمثال حتى يتقرر في قلبه اعتقاد الحق، أترضاه لامك لابنتك لأختك لعمتك لخالتك وهو يقول: لا لا لا يقول الناس لا يرضونه، كذلك ينبغي أو يجب على المسلم أن ينظر إلى هذا الاعتبار وأن يحاور الأبناء بهذه الطريقة التي توصلهم أو تخرج ما في قلوبهم، أو ما علق في قلوبهم من شهوات أو من معاصي أو من أفكار خاطئة، فهم محتاجون إلى العقلاء والحكماء.

الأمر الثالث: دعاء نبوي مهم ينبغي أن يعتني به المربي ويعتني به الشاب، وقد احتوى على ثلاثة فقرات: مغفرة الذنوب وتطهير القلب وتحصين الفرج، لاحظ الذنوب للقلب مثل القيود والإنسان المقيد لا يستطيع أن يتحرك قد يرى الحق أو يرى الطريق الصواب لكن لا يستطيع الوصول إليه مقيد والذنوب تقيد المؤمن تقيد قلبه، لا تجعله يرى الحق رؤية واضحة أو يراه ولا يستطيع أن ينهض إليه، فمغفرة الذنوب سبب لاستطلاق القلب أو فك القيود عنه.

الفقرة الثانية: تطهير القلب مما تعلق فيه من شهوات وفواحش ومعاصي كل ما كان الإنسان ينظر ويسمع لابد لهذا القلب من تأثر، ولابد لهذا القلب من تطهير وإلا نكتة بعد نكتة وزلة بعد زلة تعمي هذا القلب فلابد من تطهيره وهذه فقرة مهمة سأرجع إليها،

الفقرة الثالث: تحصين الفرج وهو أن يحصن الإنسان فلا

يقع في الحرام والزِّنا، والنبي ﷺ قال: « مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ »[٢].

الأمر الرابع: هنا حفظكم الله بعد هذه القصة وهذا الموقف لابد نتطرق إلى خطر عظيم وفاحشة خطيرة جدا أثرها على المجتمع فتاك وعلى الفرد خطير، ألا وهي فاحشة الزنا، نسأل الله ﷻ أن يبعدها عنا ويجنبنا إياها، وأن يحمي أبنائنا وأسرنا ومجتمعاتنا منها، لماذا لأنها أولًا كبيرة من كبائر الذنوب، النبي ﷺ يقول: « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ »[٣]، وجاء في حديث آخر عن النبي ﷺ: « إِذَا زَنَى الرَّجُلُ، خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ فَكَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ كَالظُّلَّةِ فَإِذَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ ، رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ »[٤].

أي أنه ينقص إيمانه نقصانًا كبيرًا بسبب هذه الفاحشة، وأيضًا هذه الفاحشة مضرة على النسب وعلى النسل وعلى الشرف وعلى السمعة، جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الزِّنَا وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ »[٥]، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: « مَا ظَهَرَ الرِّبَا وَالزِّنَا فِي قَوْمٍ إِلَّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللهِ ﷻ »[٦]، إذًا هذه الفاحشة سبب لحلول العذاب والنقمة من الله ﷻ، بل إن من خطورة هذه الفاحشة تأملوا هذا الموقف العظيم حفظكم الله، قال ﷺ: « تفتح أبواب السماء نصف الليل، فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له ، هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيفرج عنه ، فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله ﷻ له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشارًا »[٧]، وكذلك الزاني في هذه الساعة التي ينزل الله ﷻ فيها في نصف الليل الأخير ويدعو وما منا إلا وهو مكروب أو مهموم أو عنده ذنب وكل من يدعو يستجيب الله ﷻ له إلا هذا الإنسان الذي يقع في هذه الفاحشة، وقد اجتهد أعداء الإسلام ومن يريد نشر الشهوات على الشباب الإسلامي وأغراه ونشر ما يعزز

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٤).
(٣) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).
(٤) رواه أبو داود (٤٦٩٠) ، والحاكم (٥٦).
(٥) صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (٢٣٩٠).
(٦) رواه أحمد (٣٨٠٩).
(٧) السلسلة الصحيحة (١٠٧٣).

أو يقوي غريزته ووجهه إلى طريق خاطئ وسد عليه طريق الصواب فحرفه عن الحق: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧]، الله ﷻ يريد لنا التوبة يريد أن يخفف عنا؛ لأنه يعلم أن هذا الإنسان ضعيف لكن أهل الشهوات لا يزالون يرمون بنبالهم على شباب الإسلام حتى يوقعوهم في هذه الرذيلة، واليوم في مواقع التواصل الاجتماعي قد سهلت مثل هذه الأمور.

فعندنا ثلاثة أبواب خطيرة إذا فتحت وقع الإنسان في مثل هذه الرذيلة:

الباب الأول: قوة الانفتاح واليوم الانفتاح قوي قوة الانفتاح.

الباب الثاني: ضعف الوازع الداخلي الديني، ضعف مراقبة الله ﷻ.

الباب الثالث: ضعف المراقبة والمتابعة من قبل الآباء أو الأمهات أو المربين.

هذه المعصية لابد أن يسلك الإنسان أسباب الوقاية منها، ولابد أن يحمي الأبناء من الوقوع فيها، وذلك بأسباب منها:

أولها: زرع الوازع الديني زرع مراقبة الله ﷻ، التقوى ها هنا أن يحيي في قلب الإنسان ضميره الداخلي ولا يحي هذا الضمير ولا يحيى هذا القلب كما في الحديث حتى يطهر، فيراقب العبد ربه ويتمكن التوحيد من قلبه، فلا يتعلق بشهوة ولا يتعلق بفاحشة، أيضًا لا بد أن يزرع في قلبه ما في اليوم الآخر من عذاب وعقاب لمن وقع في هذه الرذيلة، وما له من ثواب وجزاء لمن ترك هذه الرذيلة، وقد جاء في الحديث أن الزناة يوم القيامة في تنور يعلقون في هذا التنور، ويحمون ويحرقون فيها، وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان] مضاعفة العذاب وشدة الإثم بسبب هذه المعصية.

السبب الثاني: أن يعوِّد الإنسان نفسه على غض البصر، والله ﷻ يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور:٣٠] ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور:٣١] فغضُّ البصر مهم جدا في حماية القلب من التأثر بهذه الشهوات والنظرة الأولى لك، والنظرة الثانية عليك، النظرة بعد النظرة تثبت الصورة في القلب وإذا تحركت الصورة في القلب نفخ فيها الشيطان وبدأ الشيطان يوسوس ويلعب ألاعيبه في ذلك القلب حتى يكون الإنسان تفكيره في هذه الشهوات، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء]، قال أهل العلم لا تقربوه أي لا تتعاطوا أسبابه المؤدية إليه.

وهنا تنبيه وتحذير من المعاكسات الذي يقع فيها بعض الشباب وبعض الشبات، فإن المعاكسات نتيجة ثمرة التفكير وكثرة المشاهدات إلى المحرمات، فيسعى الإنسان إلى أن يعاكس عبر مواقع التواصل أو الذهاب إلى الأسواق، وهذا باب خطير محرم يقال فيه كما قيل في الحديث أترضاه لأمك أترضاه لأختك بالطبع لا، يجب على المسلم أن يقف عند هذا الأمر ويتأمل هذا الحال، والشباب وللأسف يصطاد بعض الفتيات التي ليس عندها معرفة أو طيبة فيوقعها في فخاخه بتمنيه أو إغرائها في الزواج أو يضحك عليها ببعض الكلمات، فلابد على الفتيات أن يكونَّ عاقلات فاهمات مستيقظات لا يضحك عليها أي شاب بأي كلمة.

السبب الثالث: تعليم الشباب الصبر أن يصبر نفسه على أن لا يوقع نفسه في المحرم، الشيء.

السبب الرابع: تزويج الشباب والشابات وعدم وضع كثير من العقبات أمامهم فلا غلاء للمهور الذي صعب على بعض الشباب وبعض الشابات الزواج.

وهنا نصيحة لبعض الآباء والأمهات أيُّها الأب لا تضع قيودًا كثيرة وشروطًا ليست موجودة حتى تزوج ابنتك أو تزوج ولدك في إنسانة غير موجودة في هذا العالم،

فلابد على الإنسان أن يكون واقعيًا ويرى المصلحة الأكبر في تزويج أبنائه.

السبب الخامس: احتواء الأبناء والبنات احتواء حوار احتواء عاطفي، إشباع الغريزة الداخلية بإعطاء عاطفة كافية للأبناء وخصوصًا البنات، البنات يحتجن عاطفة كبيرة يعطيها الأب أو تعطيها الأم للبنات حتى لا تكون فريسة سهلة لكل من يلقي في قلبها كلمة وهو من الذئاب البشرية.

السبب السادس: من وقع في هذه المعصية عليه أن يبادر بالتوبة، والله ﷻ لما ذكر الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩﴾ [الفرقان] قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان:٧٠]، فهذه نعمة عظيمة من تاب تاب الله ﷻ عليه بل بدل الله ﷻ جميع السيئات التي كانت حسنات ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان:٧٠]، ولا تنسوا قصة المرأة التي وقعت في هذه الفاحشة ثم جادت بنفسها، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ»(٨).

رسالة أخيرة: لا بد أن ينتبه لها الإنسان كما تدين تدان، دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا، يقول الشافعي رحمه الله في أبيات جميلة:

يا هاتكا حرم الرجال وقاطعاً
سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حرا من سلالة ماجد
ما كنت هتَّاكا لحرمة مسلمِ
من يَزْنِ يُـــزْنَ به ولو بجـداره
إن كنت يا هذا لبيبا فافهمِ

(٨) رواه مسلم (١٦٩٦).

كما تدين تدان، والإنسان يحب للناس ما يحبه لنفسه ويكره للناس ما يكرهه للنفسه.

وختاما الله الله في الشباب فإنهم عصب المجتمعات وجيله والمسؤولية كبيرة على الآباء والأمهات والمربين في احتوائهم وتعليمهم وتوجيههم، والصبر عليهم واجتيالهم مما وقعوا من ذنوب أو من معاصي فهم بحاجة إليكم، نسأل الله ﷻ أن يغفر لنا ولكم، وأن يحمي مجتمعاتنا من هذه الذنوب والمعاصي، وصلى الله على نبينا محمّد.